

دلائل الإعجاز

أصحابه مكان المائدة من القوم يتحلّقون حلاقة دون حلاقة فالتفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء . والأخبار فيما يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض . وإن زعم أنه ذمّ الشّعْر من حيث هو موزون مُقَفَّسٌ حتى كأنّ الوزن عيبٌ وحتى كأنّ الكلام إذا نُظِمَ نَظْمَ الشّعْرِ اتَّصَعَ في نفسه وتغيّرت حاله فقد أبعد وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : " إنّما الشّعْر كلامٌ حسنٌ وقبيحٌ قبيحٌ " وقد روي ذلك عن النبي مرفوعاً أيضاً . فإنّ زعم أنه إنما كره الوزن لأنه سببٌ لأنّ يُغَنِّى في الشّعْر ويُتَلَاهَى به فإنّنا إذا كنّا لم ندعُ إلى الشعر من أجل ذلك وإنّما دعوناه إلى اللفظ الجزل والقول الفصّل والمنطق الحسن والكلام البديّن وإلى حُسن التّمثيل والاستعارة وإلى التّلويح والإشارة وإلى صنعة تَعْمَدُ إلى المعنى الخسيس فتُشَرِّفُه وإلى الضّئيل فتفخّمُه وإلى النازل فترفعُه وإلى الخامل فتنوّهُه به وإلى العاطل فتحتلهُ وإلى المُشكّل فتُجَلِّيهُ فلا مُتَعَلِّقٌ له علينا بما ذكر ولا ضَرَرٌ علينا بما أنكر فليقلّ في الوزن ما شاء وليضاعفه حيث أراد فليسّ يعني أمره ولا هو مُرادنا من هذا الّذي راجعنا القول فيه وهذا هو الجواب لمُتَعَلِّقٍ إنّ تعلّق بقوله تعالى : (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْذِبُغِي لَهُ) . وأراد أن يجعله حُجَّةً في المذنب من الشّعْر ومن حَفَظَه وروايته وذاك أنّا نعلم أنه لم يمنع الشّعْر من أجل أن كان قولاً فصلاً وكلاماً جَزْلاً ومَنطِقاً حَسَناً وبياناً بَيِّناً .

كيف وذلك يقتضي أن يكون الله تعالى قد مَنَعَه البيان والبلاغة وحماه الفصاحة والبراعة وجعل له لا يبلغ مبلغ الشّعْرَاء في حُسن العبارة وشرَف اللّفظ وهذا جهلٌ عظيمٌ وخلافٌ لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من أنه كان أفصح العرب . وإذا بطل أن يكون